اللسانيات والنظريات الحديثة (دراسة تطبيقية على مقال "مناجاة القمر للمنفلوطي")

الدكتورة

أريج محمد طيب خطاب

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على اللسانيات، ومفهومها، ونشأتها، والإسهامات العربية في مجالاتها في القديم والحديث، كما يهدف إلى إبراز المناهج اللسانية في العلوم المختلفة: اللغوية، والتربوية والفلسفية، وعلاقة كل حقل معرفي منها بالنظريات اللسانية الحديثة.

كما يهدف البحث إلى الكشف عن الظواهر اللسانية في نص أدبي ينتمي إلى فن المقالة الأدبي للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي، وقد اختيرت هذه المقالة؛ لما فيها من براعة التصوير، ودقة اختيار العبارات والتراكيب، والبناء الفني مما حدا بالباحثة إظهار أبعاد اللسانيات فيها.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث وصفت الباحثة النظريات اللسانية ومتعلقاتها بدقة، مع تحليل لساني لمقالة (مناجاة القمر) للمنفلوطي.

وقد خرج البحث بعدة نتائج أهمها: أن اللسانيات اتجاه معرفي حديث، قد ترك أثرًا كبيرًا في كثير من العلوم النظرية والتطبيقية كاللغة، والنقد، والأدب، والتربية.

ولذلك كان اختيار الباحثة لنص أدبي مميز، ظهرت عليه النظريات اللسانية من خلال الكشف عن عتبات النص فيه، وبنيته الفنية والتعبيرية، وبعض الحقول الدلالية فيه، وكذلك الأبعاد التداولية المتمثلة في سياق الحال، ومقاصد الخطاب.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، التحليل اللساني للخطاب، العلوم المعرفية، مقالة مناجاة القمر.

Abstract

This research aims to shed light on linguistics, its concept, origins, and Arab contributions in its various fields, both ancient and modern. It also aims to highlight linguistic approaches in various sciences, including linguistic, educational, and philosophical, and the relationship of each knowledge field with modern linguistic theories.

The research also aims to reveal linguistic phenomena in a literary text belonging to the literary essay genre of the Egyptian writer Mustafa Lutfi al-Manfaluti. The reason for choosing this article is due to its skillful depiction, precision in selecting phrases and structures, and artistic construction, which led the researcher to show the dimensions of linguistics in it.The methodology followed in this research is the descriptive analytical method, where the researcher accurately described linguistic theories and related aspects, with a linguistic analysis of the article "Addressing the Moon" by Mustafa Lutfi al-Manfaluti.

The research resulted in several important findings, including that linguistics, as a modern cognitive direction, has had a significant impact on many theoretical and applied sciences such as language, criticism, literature, and education. Therefore, the researcher's choice of a distinctive literary text, in which linguistic theories appeared by revealing the text's thresholds, artistic and expressive structure, some semantic fields, as well as the communicative dimensions represented in the context of the situation and the purposes of discourse.
Keywords: Linguistics, Discourse Linguistic Analysis, Cognitive Sciences, Addressing the Moon Essay.

مقدمة

كان لظهور اللسانيات نهضة علمية واسعة؛ حيث انبثقت منها نظريات حديثة اكتسبت مكانة عالمية؛ لشمولها وتأثيرها البارز في مسارات البحث العلمي المنهجي، ولهذا جذبت الدراسات اللسانية اللغوية وغير اللغوية اهتمام الباحثين في فروع المعرفة الحديثة.

وهذا البحث يلقي الضوء على علاقة اللسانيات بالنظريات المعرفية الحديثة، وبيان مدى إثراء الدرس اللساني لفروع المعرفة الحديثة، فالاتجاه اللساني لم يقتصر على النظريات اللغوية فقط، بل تجاوز إلى نظريات معرفية وأدبية ونقدية أسهمت في بناء منهجي لتحليل الخطاب.

ونتيجة لهذا التداخل بين اللسانيات والعلوم المعرفية، خرج مفهوم تحليل الخطاب من الحيز الضيق، إلى مجالات واسعة فصارت دراسة الخطاب مناط اهتمام لأبرز علماء اللسانيات، من أمثال: تشومسكي، ورولان بارث، وجوليا كريستيفيا، وتودوروف.

مشكلة البحث: بيان المكانة التي احتلتها اللسانيات في النظريات الحديثة، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وتحليل نص أدبي في إطار النظريات اللسانية.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في الوصول إلى ما يلي:

1- التعريف المنهجي للسانيات بشكل عام، ونشأتها.

2- الإشارة إلى الإسهامات العربية في اللسانيات اللغوية.

3-تطبيق النظريات اللسانية اللغوية على مقالة أدبية (مناجاة القمر) للمنفلوطي.

الهدف من البحث: إلقاء الضوء على اللسانيات، ومفهومها، ونشأتها، والإسهامات العربية في مجالاتها، في القديم والحديث، كما يهدف إلى إبراز المناهج اللسانية في العلوم المختلفة: اللغوية، والتربوية والفلسفية، وعلاقة كل حقل معرفي منها بالنظريات اللسانية الحديثة.

كما يهدف البحث إلى الكشف عن الظواهر اللسانية في نص أدبي ينتمي إلى فن المقالة الأدبي للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي.

محددات البحث: اللسانيات تشتمل على فروع كثيرة وتشعبات عديدة؛ وقد اعتمدت الباحثة على اللسانيات اللغوية بوصفها فرعًا من فروع اللسانيات؛ لأنها أقرب الفروع اللسانية لتحليل النصوص

الأدبية، وأيضًا لتخصص الباحثة الذي يقتضي تطبيق نظريات لسانية لغوية أدبية كالتداولية، وقد تناولت الباحثة منها مقاصد الخطاب في مقالة مناجاة القمر للمنفلوطي؛ لما لها من أهمية بارزة في تحديد الأفكار العامة المحددة لنص المقالة، وسياق الحال؛ كذلك لأنه يمثل الظروف المحيطة بالخطاب، ومن مناهج التحليل الأدبي في اللسانيات الأسلوبية وتناولت منها الباحثة عتبات النص التي تمثل المدخل الأساسي لفهم المقالة، وكذلك البنية الفنية وما فيها من تأويلات دلالية تفيد القارئ في مقالة مناجاة القمر للمنفلوطي.

أسئلة البحث: سؤال البحث الرئيس: ما أهمية اللسانيات والنظريات الحديثة؟

ويتفرع عن سؤال البحث الرئيس الأسئلة التالية:

1- ما اللسانيات، وكيف نشأت؟
2- ما أبرز الإسهامات العربية قديمًا وحديثًا في هذا الحقل المعرفي؟
3- كيف كان تأثير اللسانيات في الحقول المعرفية الأخرى؟
4- ما النظرية التداولية، وكيف يمكن تطبيقها على النصوص الأدبية؟
5- كيف ظهرت الأبعاد اللسانية في مقالة مناجاة القمر للمنفلوطي؟
6- ما دور عتبات النص في الوصول إلى الدلالة في مقالة مناجاة القمر للمنفلوطي؟
7- ما أثر سياق الحال في توجيه الكاتب في اختيار أساليب التعبير في مقالته؟

الدراسات السابقة: تشعبت الدراسات اللغوية اللسانية وكثرت؛ فهي أكبر من أن تحصى في ورقة بحثية صغيرة كهذه، وأذكر فقط على سبيل المثال منها:

1- عبد الرحمن محمد طعمة، مركزية اللسانيات ضمن نظرية المعرفة وفلسفة العلوم، بحث ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق، الجزء الأول، عالم الكتاب الحديث، إربد، 2019م.
2- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية.
3- توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث.
4- وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها.
5- فرحان بدري الحربي، اللسانيات وتحليل الخطاب في النقد الأدبي (التواصل وانفتاح الذات) بحث منشور في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية 2018م، المجلد الثامن، العدد الثالث.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة فيها أبرز النتائج على النحو الآتي:

- المقدمة.
- ثم التمهيد: وقد تحدثت فيه الباحثة عن اللسانيات مفهومها ونشأتها والإسهامات اللسانية العربية بين القديم والحديث.
- والمبحث الأول: الإسهامات اللسانية في المجال المعرفي.

- والمبحث الثاني: التحليل اللساني لمقالة للمنفلوطي. من خلال تداوليات الخطاب في مقالة (مناجاة القمر) المنفلوطي.
- ثم أخيرًا الخاتمة والنتائج.

تمهيد: (اللسانيات مفهومها ونشأتها والإسهامات العربية)

أولًا: مفهوم اللسانيات: يراد باللسانيات ذلك العلم "الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع؛ بعيدًا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية"[1]. فالدراسة العلمية المنهجية هي ما يميز الاتجاه العام للسانيات في نظرتها للغة، أما الاختلاف بين اللغات في القواعد والأحكام المعيارية، فهي قواعد خاصة لكل لغة، تُبحث في إطارها المعياري.

ولا تُفرق اللسانيات في دراستها للغات الطبيعية بين اللغة المكتوبة والمنطوقة، بل تهتم بالوصف الدقيق لخصائص اللغات الإنسانية في إطارها العام، مكتوبة كانت أم منطوقة، كما يهدف "هذا العلم أساسًا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها، والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكل لغة على حدة"[2].

وبناء عليه يقال: إن أبسط تعريف لعلم اللسانيات هو: "الدراسة العلمية للسان"[3]؛ فكل ما يمكن دراسته بطريقة علمية منهجية في جانب من جوانب ما ينتجه البشر من كلام يُمثل جزءًا من الدراسات اللسانية في العصر الحديث"؛ فاللسان أداة تبليغ يتم وفقها تحليل التجربة البشرية بكيفية مختلفة– عند كل قوم– إلى وحدات ذات محتوى دلالي، ومركب صوتي هي الكلمات، وإن المركب الصوتي يتقطع بدوره إلى وحدات متمايزة متوالية هي الصوتيات وتكون بعدد محدود في كل لسان، إلا أن طبيعتها وعلاقتها المتبادلة تختلف أيضًا من لسان إلى لسان آخر"[4].

وعلى الرغم من استفادة اللسانيات من بقية العلوم، إلا أنه علم قائم بذاته، يستعمل منهجية خاصة، ويرمي إلى أغراض محددة، وقد جانب الصواب مَن حصر الدراسات اللسانية في علم النحو، كما كان هذا الاعتقاد السائد قديمًا، بل إن الجديد في موقف المهتمين باللسانيات، هو عدم النظر إلى الألسن على أنها نموذج منعزل لكل لسان أدواته الخاصة، بل نظرتهم تتلخص في البحث عن كل ما هو عالمي في اللغة، أو ما يطلق عليه عالمية الأدوات اللغوية. فهناك أسئلة تشغل بال معظم اللسانيين على اختلاف تياراتهم ومشاربهم، ومن بين هذه الأسئلة:

1– ما الذي يميز اللغات الطبيعية عن غيرها من اللغات؟

2– ما السمات التي تلتقي فيها اللغات، وما السمات التي تختلف فيها؟

3– إلى أي مدى تغيرت اللغات، وإلى أي مدى ظلت؟ [5] .

إن اتجاه اللسانيات العامة هو وصف اللغات، والوقوف على خصائصها الفنية الدقيقة، باستعمال قواعد لسانية محددة المعالم، فلا بد من الإقرار أن اللسانيات العامة لا تنحصر دراستها للغة معينة، أو وضع قواعد لدراسة لغة أو لهجة في وضع لغوي مُقيد، "فاللسانيات العامة لا تهتم

بلغة دون لغة، ولا تنتقي لغة بعينها؛ بهدف الدرس والتنقيب، إلا بحسب الخصائص التي تفرزها، التي يمكن أن تفيد في تقديم تمثلنا للغات، أو يمكن الاحتجاج بها لإثبات هذا المبدأ أو ذاك"[6].

ويظهر دور اللساني في البحث عن خصائص اللغات، وطرق اكتسابها؛ حتى يتسنى له وصفها، وتفسير السمات المتشابهة بين كل منها، ويتمكن من تحديد ما يمكن إدراجه ضمن الكليات اللغوية، أو المنطلقات اللغوية العامة، وما يمثل خصوصية لكل لغة، "ودور اللساني كذلك أن يوفر الأدوات التي تساعد مستعمل اللغة على الانتقال من معرفة غير واعية للغة إلى معرفة واعية، ويعمل على تجديدها حتى تظل كافية وصفيًّا وفنيًّا ومنهجيًّا"[7].

ثانيًا: نشأة اللسانيات: تمثل البداية الحقيقية للسانيات مثار جدل بين الباحثين، فقد تساءلوا من أين وكيف بدأت؟ ومن المؤسس لها؟ وهل هي علم لغوي أم علم متداخل الاختصاصات؟ كل هذه الأسئلة شغلت أذهان الباحثين، "فمنهم من اعتبر أعمال (ويليام جونز) بداية حقيقية للسانيات، ومنهم من جعل محاضرات 1916م لـ(دي سوسير) بدايتها الحقيقية، ومنهم من ذهب إلى أكثر من ذلك، وقال: إن اللسانيات في معناها الدقيق لم تبدأ إلا مع رائد المدرسة التوليدية التحويلية اللساني الأمريكي (نعوم تشومسكي)، وقبل هذا وذاك رأى بعضهم أن اللسانيات ما هي إلا امتداد للدراسات اللغوية القديمة، وجزء من سلسلة علاقة الإنسان ودراسته للملكة اللغوية"[8].

ويعد فرديناند دي سوسير المُنَظِّرَ الأول للفكر اللساني في العصر الحديث، فقد استفاد من معطيات من سبقوه من العلماء، وأضاف عليها نظريات أسست للاتجاه اللساني الحديث، كما أسهم في هذه المرحلة المهمة في تاريخ الفكر اللساني؛ "إذ إنه الأول الذي بلور ضرورة الرؤية النظرية العامة حول الكلام متجاوزًا مستوى من الجمع البسيط للظواهر الجزئية"[9].

ولإسهامات الفيلسوف تشومسكي أثرٌ بارزٌ في نشأة النظريات اللسانية الحديثة وتطويرها، فانطلق من افتراضات فلسفية، وأقام خطته للبحث في ميدان اللغات البشرية "بما أنها مرآة للعقل حسب التعبير التقليدي؛ فدراسة الأنساق المكتسبة من أهم السبل المؤدية إلى فهم الطبيعة البشرية، واللغة هي أهم هذه الأنساق"[10].

ثالثًا: الإسهامات اللسانية العربية بين القديم والحديث:

من سمات المعارف أنها تراكمية، فهي ليست حكرًا على شعب أو ثقافة بعينها، فالعقول المبدعة والمفكرة منتشرة في جميع الحضارات، وتتلاقح هذه العقول من خلال الأفكار المتبادلة والمطروحة، والتبادل الفكري والثقافي، والتأثير والتأثر بين الحضارات، وقد كان للحضارة العربية إسهامات فكرية في اللغة واللسانيات، ترقى لتضارع أكبر النظريات اللسانية في العصر الحديث، بل لا أبالغ حين أزعم أن جذور غالب هذه النظريات موجود في التراث العربي.

فالجاحظ (ت 255هـ) على سبيل المثال فطن إلى أن للكلام مقامات وطبقات، فسياق التعبير في النصوص، يسهم في الكشف عن دلالة اللفظ وتوظيفه في السياق، يقول الجاحظ: "وكما

لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[11].

ومن المبادئ اللسانية في التراث النحوي ما جاء عند العلامة ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص؛ حيث يمكن أن نلمح مظاهر التطور اللساني في كثير من مسائل اللغة، وبلورته لقضايا لغوية تقترب من القضايا اللسانية الحديثة، ومنها حديثه عن الإبلاغ والإفادة، وإفادة المخاطب على الوجه المطلوب، وهو مبدأ لساني تداولي حديث، يقول في ذلك: " أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يا فلان أين أنت أرني وجهك أقبل علي أحدثك أما أنت حاضر يا هناه. فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك"[12].

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ووضع نظرية النظم، وهي نظرية لسانية من الطراز الأول، ووفقا لهذه النظرية المحتوى اللغوي يشتمل على نظام لربط الكلمات بعضها ببعض، وفقا لمقتضيات دلالاتها العقلية التي تتضمنها قواعد النحو، يمكنها بالشكل الأيسر والأفضل من التعبير عن المعاني، فيجب أن يتم النظم وفق قوانين النحو، يقول الإمام عبد القاهر: "وكنَّا قد عَلِمْنا أنْ ليسَ النظمُ شيئًا غير توخي معاني النحو وأحكامِه فيما بينَ الكلمِ، وإنا إن يقينا الدهر تجهد أفكارَنا حتى نَعْلَم، للكلِمِ المفردةِ سِلْكًا يَنْظِمُها، وجامعًا يَجْمعُ شمْلَها ويؤلِّفها، ويَجْعل بعضَها بسبَبٍ مِنْ بعضٍ، غيرَ توخِّي معاني النحو وأحكامهِ فيها " [13].

وهذه النظرية اللسانية التراثية تؤكد على أنه لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض. ولا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل. ومعاني النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية. والمهم معرفة مدلولات النحو وليس العبارات أنفسها.

أما في العصر الحديث فقد ظهرت اللسانيات العربية في القرن الماضي من خلال دراسات أكاديمية منهجية، جعلت القارئ العربي يتعرف على الواقع اللغوي من خلال علاقته باللسانيات الحديثة، التي أثرت في مجالات فكرية وفلسفية ونقدية.

ولعل اللغويين العرب المحدثين أمثال: تمام حسان، وسعد مصلوح، وطه عبد الرحمن، وغيرهم قد أثروا المكتبة العربية بمؤلفات أفادت، وتركت معلومات لسانية عظيمة الأثر.

ورغم ذلك هناك باحثون يرون أن الجهود اللسانية العربية لم تبلغ مستوى النضج الذي بلغته اللسانيات الغربية؛ لضعف استيعاب الثقافة العربية للسانيات، واستثمار معطياتها، وتقييم التجربة اللسانية الغربية والاستفادة من قضاياها واستمداد مبادئها، واقتباس جزءٍ من أفكارها.

وترى الباحثة أن الوعي النظري للسانيات الوافدة يتيح استغلالًا أمثل للمعطيات الواردة، وربطها بتراثنا العلمي، وتنظيمها، وتحليلها، وتفسيرها وتقويمها. وذلك يقتضي رسم صورة واضحة

لمسارات البحث اللساني العربي منذ القدم، فالتراث العربي نسيج متشابك من المعارف اللسانية، والأدبية، والنقدية...، وهذه الفروع اللغوية العربية من الصعب الفصل بينها؛ ولذلك فمن الواجب فهم الواقع اللساني العربي والإضافة عليه و"ربطه بقضايا تاريخية وفكرية وحضارية ونفسية انصهرت في بوتقة واحدة لتفرز واقعًا يشكل صورة عن الواقع الحالي لبنية الفكر العربي"[14].

ويرى د. حافظ علوي أن الثقافة العربية متشبثة بالتراث اللغوي العربي، فعلى الرغم من ظهور مفكرين حداثيين إلا أنه لم يتم التغيير المنشود؛ فظلت البحوث اللسانية غريبة على ثقافتنا.

وتخالف الباحثة هذا الرأي، فلا يعني التشبث بالتراث عدم الانفتاح على اتجاهات الدرس اللساني الحديث، بل ربما ربط القديم بالجديد، أو التأصيل العلمي للفكر اللساني الحديث في التراث، وهل التغيير المطلوب يقتضي تجاهل الجهود اللسانية العربية عند علماء العربية القدماء؟

والمتتبع للدرس اللساني العربي يجد جهودًا بارزة في إرساء دعائم الفكر الحديث وربطه بالثقافة العربية، ومحاولة التجديد في الفكر اللغوي القديم، وتقديم صورة للنموذج اللغوي العربي في إطار من النظريات اللسانية الحديثة، وعليه فلا يمكن إنكار جهود "الرواد أمثال تمام حسان وإبراهيم أنيس وكمال بشر وأنيس فريحة وأحمد مختار عمر وريمون طحان... الذين قدموا للمكتبة اللغوية العربية العديد من الدراسات والمقدمات النظرية والتطبيقية في اللسانيات الحديثة، إما بصفة عامة، وإما في مستوى معين من التحليل اللساني كالأصوات والدلالة".[15].

وقد أسهم اللسانيون العرب المحدثون في تقديم مصطلحات أفادت البحث اللساني العربي، متجاوزين مرحلة الوقوف عند القديم، إلى وضع اتجاهات حديثة للبحث اللغوي، واستعمال رصيد من المصطلحات اللسانية الحديثة، التي أصبحت رصيدًا أساسيًا في علم اللغة منها: علم اللغة التقابلي، وعلم اللغة التطبيقي، والبنيوية، والبنية السطحية والبنية العميقة، والنحو التوليدي التحويلي، وقد أصبحت هذه المصطلحات من الرصيد المشترك للغويين العرب"[16].

المبحث الأول: (الإسهامات اللسانية في المجال المعرفي)

يكاد يتفق الباحثون أن ظهور اللسانيات الحديثة يشكل ثورة معرفية حقيقية، فهي تمثل حلقة وصل بين العلوم الإنسانية؛ حيث استفادت من الحقول المعرفية المتنوعة للعلوم النظرية والتطبيقية، وأفادت فيها كذلك "وقد تأثرت بأساليب بحث اللسانيات جل العلوم الإنسانية الحديثة كالأنثروبولجيا والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الأدبي"[17].

ومن النظريات اللسانية اللغوية الحديثة، التي أثرت مجال البحث اللغوي النظرية التوليدية التحويلية، وهي نظرية لسانية محضة "تعد من بين النظريات اللسانية الحديثة التي حاولت تفسير النظام اللغوي، بضبط الكيفية التي يعمل بها هذا النظام، وبالتالي رصد نتائج معيّنة يُستفاد منها عمليا في تحليل القضايا، والمسائل الخاصة باللغة" [18].

والبنيوية نظرية لسانية أدبية ركزت على دراسة النصوص الأدبية من خلال تصنيف العمل الأدبي، ووصفه، وتحليله، وتؤمن بأن الأدب ما هو إلا انعكاس للتجربة البشرية، وهدف هذه النظرية اللسانية هو "فهم البنى التي تشكل التجربة البشرية، وهذا بدوره يعني أن نظرية استجابة القارئ مثل النظرية البنيوية لا تسعى إلى فهم يربط بين البنى الفطرية في الوعي البشري بالتجربة البشرية، والسلوك البشري"[19].

إن الاتجاهات اللسانية المعاصرة وسعت رؤيتها من النطاق التقليدي للجملة الواحدة، إلى النظرة الكلية للنصوص، من خلال الافتراض أن النص ككل يُشبه الجملة الواحدة في تماسكه وارتباط أجزائه، فظهرت على إثر ذلك نظرية نحو النص "ويُعدّ فان دايك مؤسس علم النص، أو نحو النص، مستفيدا من تجارب سابقيه، وكثير من معاصريه"[20].

ومن النظريات اللسانية الحديثة التداولية، التي تعود في نشأتها "إلى شارلز بيرس حينما درس العلامات، والدلالة...، والتداولية أي دراسة المعنى في اللفظ عند مستخدمه ومفسره"[21].

وفي مجال الرواية والنقد الروائي كان للسانيات إسهامات بارزة في تطوير اتجاهات النقد الروائي، وظهور اتجاهات لسانية كالرمزية، والتداولية، وغيرها، وترتبط اللسانيات بالرواية من جهة أن "كل نص خطاب، وفعل لغوي من خلال كاتب ضمني يملك تخطيطًا محددًا يُعرض على قارئ ضمني محدد، ولو أردنا تطبيق اللسانيات على الرواية، فيجب أن نفترض أن الفئات التي يمكن تطبيقها على اللغة العادية، قابلة للتطبيق أيضًا على النصوص الروائية"[22].

وهناك وشائج صلة بين اللسانيات والتاريخ؛ لأن منهجها في الأصل يقوم على دراسة اللغات في مظاهر تطورها التاريخي، وما صاحب ذلك من تطور ثقافي واجتماعي، وعلمي، إنه منهج لساني تاريخي يرصد حركة اللغة وحياتها، وعليه فإن "اللسانيات التاريخية تدرس اللغة في حركتها وحيويتها لا في ثباتها، وتكشف عن موضع اللغة من الحياة وعناصرها التي تتسم بخواصها صوتًا ودلالة وتركيبًا، ونحوًا وصرفًا، وفصيحًا أو عاميًّا " [23].

وحقل اللسانيات التاريخية يختلف عن المقارنة، فهو يهتم بدراسة لغة واحدة من خلال تطوراتها تاريخيا، لمعرفة تغيراتها النحوية والصرفية والدلالية، أما المقارنة فهدفها "مقارنة لغتين أو أكثر على مستوى المفردات والنحو والصوت؛ بغية الوصول إلى الأصول المشتركة، وإعادة بناء اللغة الأولى في الأسرة الواحدة... فتعد اللسانيات المقارنة علمًا تفسيريًّا بالدرجة الأولى؛ لأنها تبتغي تفسير الظواهر التي تكمن وراء أوجه الشبه والاختلاف في اللغات المدروسة"[24].

ومن نظريات اللسانيات الحديثة النظرية الدلالية التي تبحث في علم الدلالة، وهو فرع ذو أهمية بمكان، فدلالات الأشياء هي المعرفة المكتسبة من خلال اللغة، وعلم الدلالة من وجهة النظر اللسانية متجدد المنهج، والموضوعات، "فقد استحقت اللغة في إنتاجها للدلالة أن تكون موضوع

دراسة يعكف عليها اللسانيون قديمًا وحديثًا، فتعددت الاتجاهات وتنوعت المدارس، وتلونت المناهج، وكثرت أدوات التحليل؛ سعيًا وراء الوصول إلى الدلالة اللسانية " [25].

إن كثيرًا من النظريات اللسانية المعاصرة، لترتبط بالمعرفة الإنسانية في مختلف صورها، وأنماطها، فاللسانيات علم منفتح على العلوم الأخرى، لكن موضوعها الأول هو اللغة، والسبب أن "لغة البشر التي تمثل محور الأنظمة التواصلية في الكون بلا منازع، قد مرت بالتطور من خلال الانتقال من مرحلة الصورة الذهنية إلى المرجعية الرمزية، ثم جاء تحول آخر عندما تحول الرمز إلى أنظمة الكتابة بتنوعاتها، والآن نعود إلى حوسبة الصورة الذهنية من جديد" [26].

وعلى صعيد المعارف التربوية هناك تفاعل بين اللسانيات والمجال التربوي، فعلى سبيل المثال، نظرية مثل نظرية النحو التوليدي أسهمت في طرق تعليم اللغات بشكل بارز، وبعد تطور اللسانيات واستوائها على سوقها، استفادت فلسفة تعليم اللغات منها، وهذه الاستفادة انعكست على الطرق والمناهج والأدوات والنظريات التربوية ووضعت عدة دراسات عن تعليم اللغة من خلال ثلاثة مجالات تعتبر فروعًا للسانيات كاللسانيات العامة التي يتم فيها تدريس التلميذ قواعد تركيب الجمل ومفردات المعجم وأصوات اللغة... وغير ذلك من مستويات اللغة ومراتبها " [27].

ومن الإسهامات أنها رسمت معالم المنهج في عملية تعليم اللغات؛ حيث اقترحت طرق اكتساب اللغات، وحللت مستويات التواصل الكلامي؛ مما فتح الطريق للنظريات اللسانية التطبيقية في ثلاثة أشياء، ذكرها الدكتور عبد السلام المسدي، وهي:

1- ازدهار اللسانيات التطبيقية، ولا سيما في حقل تعليم اللغات.

2- بروز علم النفس اللغوي.

3- تمكين اللسانيات من حق التطرق إلى موضوع اكتساب اللغة [28].

وعلى مستوى الدراسات النفسية المتعلقة باكتساب اللغات، إسهامات سديدة؛ حيث تشارك النظريات اللسانية الحديثة في "معالجة قوى النفس الإنسانية، فظهر فرع اللسانيات النفسية، ومن قضاياه (العُدة الذهنية) التي تزوَّد بها الإنسان، ويستعملها دائما لاكتساب اللغة"[29].

وثمّة علاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي، فقد أزالت اللسانيات الحواجز بينها وبين العلوم الأخرى أثرت فيها وتأثرت بها، فغدت رؤية نقدية أكثر شمولية فزالت الحدود بين الاختصاصات، فالنقد الأدبي يستعين بالمناهج اللسانية، "فقد ساهم جل النقاد الغربيين في إرساء مناهج علم الأدب؛ اعتمادًا على اللسانيات خاصة؛ مما أوجب على الناقد أن يتزود بثقافة لسانية متجددة؛ وبذلك فإن كلا من اللساني والناقد الأدبي مطالبان بإحكام الصلة بينهما لفك مغالق النص"[30].

إن اللسانيات اللغوية صلتها وثيقة بالنقد الأدبي؛ لأن اللغة هي المادة الأولية للأدب، وألصق العلوم بموضوعاته، فالعمل الأدبي يتكون من شعور وطريقة تعبير، وهذه "هي اللسانيات ذاتها، لكن اللسانيات التي تعتني بدراسة الكلام أو التعبير لا اللغة فحسب" [31].

إن قراءة النصوص الأدبية قراءة لسانية منهجية، تعني صياغة جديدة للمبادئ النقدية، بل تجعل من عالم النصوص طريقة حديثة في الفهم، ومن ثم أصبحت دراسة النص شاملة، ولم تعد مغلقة على نفسها، وإنما بدأت تدخل في حسابها ما اكتسبته العلوم الأخرى كاللسانيات من أبعاد معرفية، واهتمامات لغوية تركز على قضايا التواصل الإنساني، "فالنص بهذا المفهوم يصبح مدخلا لفهم الحياة، ويؤسس طريقًا واضحًا لحياة الأفراد والجماعات"[32].

ومن وشائج الصلة بين النقد واللسانيات النظرية الأسلوبية، فالأسلوبية اتجاه نقدي اتخذ الموضوعية والصرامة المنهجية، والانضباط العلمي، فالأسلوبية لم تخرج من كونها وصفًا للنص الأدبي حسب مناهج مأخوذة من علم اللغة، وقد "اتفق الدارسون العرب إجمالا على القول بوجود وشائج وأسباب اتصال حميمة بين علم الأسلوب واللسانيات معتبرين أن ذاك اشتق من رحم هذه وترعرع في ظلها وطرأ عليه ما طرأ عليها من عوامل التطور والتحول"[33].

المبحث الثاني (التحليل اللساني لمقالة للمنفلوطي)

التحليل اللساني للنص الأدبي هو دراسة اللغة من حيث بنيتها وقواعدها وأصواتها. ويهتم التحليل اللساني بدراسة اللغة مجردة مستقلة عن المتكلمين بها والمواقف التي يستعملونها فيها، كما يشمل التحليل اللساني عدة مجالات أهمها: الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة، والسياق، والتداوليات"، ومن المعلوم أن النصوص الأدبية كلها تقبل عملية التحليل اللساني الذي يصب في دائرة النص النقدي، ولكن نجد جل النقاد ما زالوا يخوضون في مسألة أدوات الممارسة النقدية؛ لأنها لم تتأسس عند البعض منهم لاختلاف الرؤى والمشارب المعرفية عند كل ناقد"[34].

عتبات النص: في مقالة مناجاة القمر لمصطفى لطفي المنفلوطي– وهو من أبرز أدباء القرن العشرين– قضايا لسانية يمكن الوقوف عليها ومنها عتبات النص، التي تبرز "جانبا أساسيا من العناصر المؤثرة لبناء الحكاية ولبعض طرائق تنظيمها وتحققها التخييلي، كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية"[35].

تُمثل مقالة (مناجاة القمر) للمنفلوطي هي جزء من كتابه النظرات، وهذا الكتاب يتكون من مجموعة مقالات تتناول موضوعات أدبية واجتماعية، وثقافية، وقد نشرها في جريدة المؤيد، وينتمي هذا النص إلى الاتجاه الوجداني في الأدب، الذي يركز على شئون الذات ويعالج الشعور الداخلي الذي يمر به الكاتب عبر تجاربه.

كما تُشكل عتبات النص في مقالة المنفلوطي مفاتيح سحرية تأخذ بيد القارئ إلى الولوج في أغوار النص، واقتحام عوالمه، فمن عتبات النص البارزة في مقالة المنفلوطي الاستهلالات الرائعة، فقوله: "أيها الكوكب المطل من علياء سمائه" [36] ، فيه براعة استهلال تجعل القارئ ينتبه لما بعد هذا النداء، وفيه دلالة على هذا العلو والانفراد الذي يشعر به المنفلوطي.

ومن الاستهلالات التي اتخذها المنفلوطي، قوله: أيها القمر المنير إنك أنرت الأرض وهادها ونجادها، وسهلها ووعرها، أيها القمر المنير إنَّ بيني وبينك شبها واتصالا، أيها القمر المنير ما لي أراك تنحدر قليلا قليلا إلى الغروب كأنك تريد أن تفارقني! " [37].

إن هذه النداءات لها دلالات تعكس الحالة النفسية للكاتب، فحزنه ظاهر، يكاد لا يفارقه الألم، وتكرار النداء ثلاث مرات فيه هروب من شرور المجتمع ولجوء إلى عالم الطبيعة، وهكذا تساعد العتبات النصية في الوقوف على أبعاد النص المدروس، فـ "لم يعد يخفى على النقاد، أن العناوين، والاستهلالات، والمطالع تشكل عتبة للدخول إلى مكونات النص، وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل يمكن أن يتعداه إلى أن تصبح العتبة، وما تحتويه من تكثيفات قصدية، أو غير قصدية بمثابة المهيمنة التي تنفتح على كثير من المرجعيات، والحزم الدلالية"[38].

من خلال عتبات النص تقسم بنية النص إلى مدخل، وثلاثة مقاطع كلٌّ منها يحمل فكرة رئيسة تُمثل عتبة نصية، أما المدخل فيحمل مجموعة من التساؤلات، والمقطع الأول فيه عرض التشابهات بين الكاتب والقمر، والمقطع الثاني فيه ذكر للحبيب، وهي علاقة الحب المؤثرة في عاطفة الكاتب، أما المقطع الثالث ففكرته الرئيسة بيان مدى الحسرة على غياب القمر.

البنية الفنية لمقالة (مناجاة القمر) للمنفلوطي: يُكثر المنفلوطي من استخدام أساليب الاستفهام؛ ليجعل القارئ يتمكن من فهم شعوره، والوصول إلى مراده من خلال إجابته عن أسئلته، وكأن المنفلوطي يُشرك القارئ معه في بناء النص، ويدخله عالمه معه؛ لأن "بنية الاستفهام في جوهرها بنية توليدية، تهدف إلى كسر إسار الدور المحدد الذي تؤديه صيغته؛ لتكون دلالات جديدة تكتسب هويتها من خلال تفاعل عناصر السياق أو التراكيب الواردة فيه، والاستفهام ليس حالة طارئة على التركيب، بل هو داخل في نسيجه متفاعل معه"[39].

ومن أساليب الاستفهام في مقالة مناجاة القمر الآتي:

- أأنت عروس حسناء تشرف من نافذة قصرها؟ أم ملك عظيم جالس فوق عرشه؟ وهذا الأفق المحيط بك خاتم من الأنوار أم مرآة صافية؟ وهذه الهالة الدائرة بك إطار أم عين ثرَّة ثجَّاجة؟
- وهذه الأشعة جداول تتدفق أم تنور مسجور؟ وهذه الكواكب أشرر يتألق ؟ فهل لك أن تشرق في نفسي فتنير ظلمتها، وتبدد ما أظلها من سُحب الهموم والأحزان؟! [40]
- فهل لك أن تحدثني عنه وتكشف لي عن مكان وجوده؟ وما هذا السيف المسلول الذي يلمع من جانب الأفق على رأسك؟ فمتى تنقضي وحشة النهار ويُقْبِلُ إلى أنس الظلام؟ [41].

إن هذه الجمل الاستفهامية تمنح القارئ جدلية ثنائية بين القمر والكاتب في إطار من عاطفة مسيطرة على الكاتب، ومشاعر تصور مكنونات نفسه، فقد أدى الاستفهام في قوله: أأنت عروس حسناء تشرف من نافذة قصرها؟ أم ملك عظيم جالس فوق عرشه؟ تصويرا فنيا رائعا لنقل مشاعر الإعجاب الداخلي بالقمر، والتي يسقطها على نفسه دون أن يشعر القارئ.

كما أنَّ أساليب الاستفهام السابقة تعكس الواقع الذي يعانيه المنفلوطي، فتعكس إحساسه بالزوال مع زوال الأشياء من حوله، وتعكس حبه العفيف الممزوج بألم الفراق، وتلقي بظلال شعوره على هذا القمر فكأنه هو القمر، وكأن القمر هو.

ومن بديع التصوير الفني في هذه المقالة كم من المتشابهات التي أراد الكاتب أن يجعلها قاسمًا مشتركًا بينه وبين القمر، وما يترتب عليها من دلالة في قوله: "أيها القمر المنير إنَّ بيني وبينك شبها واتصالا، أنت وحيد في سمائك، وأنا وحيد في أرضي، كلانا يقطع شوطه صامتا هادئًا منكسرا حزينًا، لا يلوي على أحد ولا يلوي عليه أحد، وكلانا يبرز لصاحبه في ظلمة الليل فيسايره ويناجيه يراني الرائي فيحسبني سعيدا " [42] .

إن الكاتب يستوحي من القمر انفراده فيسقطه عليه، ويستوحي منه صمته وهدوئه وانكساره وحزنه، فيسقط هذه الصفات على نفسه، بل إنه تجاوز ذلك فجعل القمر كائنا حيا يستطيع الرائي أن ينظر إليه فيحسبه مغتبطًا وهو يتألم كحال الكاتب، إن هذه الإيحاءات ليست إلا ما يشعر به الكاتب داخله من شعور، فيريد أن يجعل القمر مثله. وقد أكد هذا الكلام أحد الباحثين الذين درسوا أدب المنفلوطي من خلال علم النفس؛ إذ يقول: "يلاحظ الباحث إن هناك العديد من الإشارات النفسية في أدب المنفلوطي، وإنها ترصد النشاط الإنساني وتقتحم عالمه النفسي، لتكشف عن الدوافع الفعلية والمحرك الحقيقي لهذا النشاط"[43].

وثمة دلالات أخرى للحقول الدلالية التي وظفها الكاتب في مقالته، فالحقل المعجمي[44] للضوء والنور له علاقة بمضمون النص، والحالة الشعورية له، فكلمات مثل: (النيرات– يتلألأ– الأنوار– الهالة– الأشعة– تنور مسجو– يتألق– المنير– أنرت– تشرق– لمعان– نورا– نورك الساطع– طلع الفجر) لها دلالة تشير إلى رغبته في الخروج من حالة الظلمة المتمثلة في الحزن واليأس التي عبر عنها بقوله: فتنير ظلمتها، وتبدد ما أظلها من سُحب الهموم والأحزان؟!.

تداوليات الخطاب في مقالة (مناجاة القمر): التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، وهي نظرية لسانية حديثة فيها من الأبعاد والعناصر اللغوية ما يُمكن تحليل مقالة المنفلوطي من خلالها، ومن هذه الأبعاد: مقاصد الخطاب في المقالة سالفة الذكر، التي يمكن تحديدها كالآتي:

- استلهام حالات القمر، وإسقاطها على نفسه.
- محاولة التعبير عن حزنه، وعدم فراق الألم له.
- التعبير عن رغبته في الخروج إلى النور، المتمثل في الخلاص من سحب الهموم والأحزان.
- الرغبة في الحديث عن تجربته العاطفية الممزوجة بالفراق.

وهذه المقاصد الأربعة هي التي شكلت الوحدة الشعورية، التي أطلقت هذه الكلمات، وصاغت هذه التراكيب والتعبيرات في إطار فني مقنع.

وسياق الحال من عناصر المنهج التداولي، ويتمثل في الظروف المحيطة بالخطاب، وهو قسيم السياق اللغوي؛ "فمن الدلالة السياقية ما يتعلق بالمكونات اللغوية فتكون السياق اللغوي، ومنها ما يخرج عن ذلك كخبرات المتكلم البعيدة عن اللغة، وللسياق دور كبير في التحليل الدلالي؛ لأهميته في تعيين قيمة الكلمة، ففي كل مرة تستعمل فيه الكلمة معنى محددًا مؤقتًا، يفرضها السياق... فالدلالة الاجتماعية (سياق الحال) تحكم دلالة الكلمة فيها، وما يؤثر في الحدث اللغوي من عرف اجتماعي، وما يحيط به أو يصاحبه من ملابسات وظروف" [45].

والظروف المحيطة بمقالة المنفلوطي، تمثلها حالة الحزن المستمر التي يعيش فيها، ورغبته في الخلاص منها، وما يصاحبها من انفراد ووحدة شعورية عبر عنها الكاتب، وفراقه لحبيبته قد أسهم في هذه الحالة النفسية كذلك، يقول أحد الكتاب الذين اعتنوا برصد حياة الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي وأدبه: "قلنا إن المنفلوطي ولد لأب مصري عربي في بيت علم وقضاء يتصل نسبه بالإمام الحسين وقلنا إن أمه كانت شابكة القرابة بالعنصر التركي ومن المؤثرات في حياة المنفلوطي أن الأمور لم تستقم بين والده وأمه.

فقد طُلقت هذه الأم وأكثر من هذا تزوجت برجل آخر وفي منفلوط نفسها. ترى إلى أي حد أثرت هذه الحادثة على نفس حساسة رقيقة تبكي حتى للشيء تتخيله وتئن حتى للوهم يمر بها؟ الذي لا شك فيه أن هذا السبب لعب مبكرًا دوره في تعميق إحساس المنفلوطي ببؤس الحياة وأقنعه أن الخير فيها عارض ومن أجل هذا أحس مأساة الآخرين، وساعد على ذلك طبيعته الحساسة التي فطر عليها والتي شحذتها بعد ذلك عوامل ترجع في جملتها إلى اصطدام مثاليته بالواقع الذي لا يعرف غالبًا غير المكر والخديعة بعد أن هجر عزلته الأولى؛ حيث خلواته للقراءة وعزوفه عن عالمه المحدود داخل الأزهر، وقد لعبت ظروف العصر الاجتماعي دورها في توسيع هذه الهوة بين مثاليته وواقع الحياة حوله؛ فحيث ينتشر الظلم يسود النفاق، وحيث يتسلط الهوى يسهل الصغار على بعض النفوس التي لا تطلب غير النفع لها، ثم ليكن ما يكون؛ ولذا عاش مع الناس ونفسه في عزلة عنهم، وقد عبر المنفلوطي عن هذه المعاني"[46].

هذه الظروف القاسية أجبرت الكاتب على اختيار هذه الألفاظ، والتعبيرات الموحية بحزن وألم ملأ حياته، وأقصاه عن نور الغبطة والسرور، وجعله يتمنى لو طاقة من هذا النور تُفتح له في أي وقت، أو أن يرسل له القمر الذي يناجيه قبسًا من نوره، والدليل على ذلك قوله: "فهل لك أن تشرق في نفسي فتنير ظلمتها، وتبدد ما أظلها من سُحب الهموم والأحزان؟!. والوحدة التي تملأ كيانه عبر عنها بقوله: أنت وحيد في سمائك، وأنا وحيد في أرضي. وقوله: ولو كشف له عن نفسي ورأى ما تنطوي عليه من الهموم والأحزان؛ لبكى لي بكاء الحزين إثر الحزين".

ثم فراق محبوبته له، وقد كانت الأمل والسبيل للخروج من أزمات الحياة، والماء العذب الذي يزيل مرارتها، يقول في ذلك: "أيها القمر المنير كان لي حبيب يملأ نفسي نورا، وقلبي لذة وسرورًا... وقد فرق الدهر بيني وبينه"(47).

كل هذه التراكيب المختارة من المقالة لهي انعكاس حقيقي لسياق حال المتكلم، وهي ترجمة لظروف أحاطت بالكاتب فجعلته ينتقي من الألفاظ ما يعبر عن ظروفه.

الخاتمة والنتائج

تتلخص فكرة هذا البحث في تتبع الإسهامات اللسانية في الحقول المعرفية، بداية من النظريات اللسانية المتعلقة باللغة، كالتوليدية التحويلية، والسياقية...، ثم الحديث عن علاقة اللسانيات بالنظريات المعرفية في التعليم والتربية، والأدب والنقد، وأخيرًا الرواية والقصة القصيرة.

واختارت الباحثة نصًا أدبيًا هو مقالة (مناجاة القمر) للأديب مصطفى لطفي المنفلوطي؛ لتكون هي عينة التطبيق على الأبعاد اللسانية اللغوية، فقد كشفت الباحثة عن مقاصد الخطاب في خطاب المقالة المذكورة، كما بينت سياق الحال الذي برزت من خلاله اختيارات الكاتب.

وقد خرجت الباحثة بمجموعة من النتائج أهمها:

1- تهتم اللسانيات بدراسة اللغات البشرية بشكل عام، مع تفسير أبنية هذه اللغات، واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها.

2- قد كان للحضارة العربية إسهامات فكرية في اللغة واللسانيات، ترقى لتضارع أكبر النظريات اللسانية في العصر الحديث.

3- ظهرت اللسانيات العربية في القرن الماضي من خلال دراسات أكاديمية منهجية، لأمثال: تمام حسان، وسعد مصلوح، وطه عبد الرحمن، وغيرهم...

4- لا يعني التمسك بالتراث عدم الانفتاح على اتجاهات الدرس اللساني الحديث، بل الاستفادة من المعطيات اللسانية الحديثة، مع محاولة ربط القديم بالجديد.

5- أثرت اللسانيات البحث اللغوي بنظريات حديثة كالتوليدية التحويلية ونحو النص والتداولية.

6- قدمت اللسانيات للحقل التربوي جهودًا عظيمة، خاصة في حقل تعليمية اللغات.

7- تعد اللسانيات المقارنة علمًا تفسيريًّا بالدرجة الأولى؛ لأنها تبتغي تفسير الظواهر التي تكمن وراء أوجه الشبه والاختلاف في اللغات المدروسة.

8- أسهمت اللسانيات في تطور النقد الأدبي؛ فعلى الناقد التزود بثقافة لسانية متينة متجددة.

9- التحليل اللساني للنص الأدبي هو: دراسة اللغة من حيث بنيتها وقواعدها وأصواتها.

10- الوقوف على عتبات النص الأدبي يساعد في فك شفراته، وفهم محتواه.

11- تُشكل عتبات النص في مقالة المنفلوطي مفاتيح سحرية تأخذ بيد القارئ إلى الولوج في أغوار النص، واقتحام عوالمه؛ فمن عتبات النص قوله في الاستهلال الآتي: أيها القمر المنير إنك أنرت

الأرض وهادها ونجادها، وسهلها ووعرها، إن هذا الاستهلال يساعد القارئ في الدخول في عالم المقالة، وفهم مضمونها بداية.

12- وصف البنية الفنية في مقالة (مناجاة القمر) تسهم في كشف مغاليقه، وتحليل أفكاره؛ فبنية الاستفهام مثلا في جوهرها تكون دلالات جديدة تكتسب هويتها من خلال تفاعل عناصر السياق أو التركيب الواردة فيه، ومن أساليب الاستفهام في مقالة مناجاة القمر الآتي: أأنت عروس حسناء تشرف من نافذة قصرها؟ أم ملك عظيم جالس فوق عرشه؟ وهذا الأفق المحيط بك خاتم من الأنوار أم مرآة صافية؟ وهذه الهالة الدائرة بك إطار أم عين ثرَّةٌ ثجَّاجة؟

13- الكشف عن السياقات التي تحتويها النصوص تسهم في فهم المعاني المتضمنة في الألفاظ، ومن ذلك الوحدة التي تملأ كيانه عبر عنها بقوله: أنت وحيد في سمائك، وأنا وحيد في أرضي.

14- من بديع التصوير الفني في هذه المقالة كم من المتشابهات التي أراد الكاتب أن يجعلها قاسمًا مشتركًا بينه وبين القمر في قوله: كلانا يقطع شوطه صامتا هادئًا منكسرًا حزينًا، لا يلوي على أحد ولا يلوي عليه أحد، وكلانا يبرز لصاحبه في ظلمة الليل فيسايره ويناجيه يراني الرائي فيحسبني سعيدا؛ لأنه يغتر بابتسامة في ثغري وطلاقة في وجهي، ولو كشف له عن نفسي ورأى ما تنطوي عليه من الهموم والأحزان لبكى لي بكاء الحزين إثر الحزين، ويراك الرائي فيحسبك مغتبطا مسرورا؛ لأنه يغتر بجمال وجهك.

15- دراسة الحقول المعجمية تكمن في تحديدها لدلالة الكلمات؛ إذ أن معنى الكلمة يتحدد من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى في الحقل المعجمي ذاته؛ فالوقوف على مقاصد الخطاب في مقالة مناجاة القمر للمنفلوطي، تمنح القارئ وعيًا تداوليًّا بأبعاد الخطاب في المقالة المذكورة. التي يمكن تحديد بعضها كالآتي:

- استلهام حالات القمر، وإسقاطها على نفسه.
- محاولة التعبير عن حزنه، وعدم فراق الألم له.

16- معرفة سياق الحال والظروف المصاحبة لمقالة مناجاة القمر تعين القارئ على معرفة أسباب اختيار المنفلوطي لكثير من الألفاظ والعبارات. فالظروف المحيطة بمقالة المنفلوطي، تمثلها حالة الحزن المستمر التي يعيش فيها، ورغبته في الخلاص منها، وما يصاحبها من انفراد ووحدة شعورية عبر عنها الكاتب، وفراقه لحبيبته قد أسهم في هذه الحالة النفسية كذلك.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، الإمارات، د. ت.

2- ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الرابعة، د. ت.

3- أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر- دمشق، الطبعة الثالثة، 2008م.

4- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط 2، 2005م.
5- أندريه مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، دار الآفاق للنشر والتوزيع، الإمارات، د. ت.
6- توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1984.
7- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
8- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربي المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2009م.
9- خالد حوير الشمس، دراسات نقدية في الشعر والنثر، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط 1، 2021م.
10- روجر فاولر، اللسانيات والرواية، ترجمة د. أحمد صبره، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط 2009م.
11- سليمة جبار الغزاوي، وآخرون، الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2021م.
12- عبد الحليم عيسى، القواعد التحويلية في الجملة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت.
13- عبد الرحمن محمد طعمة، مركزية اللسانيات ضمن نظرية المعرفة وفلسفة العلوم، بحث منشور ضمن كتاب اللسانيات العربية رؤى وآفاق الجزء الأول، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن 2019م.
14- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر 1986م.
15- عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، منشورات دراسات سؤال، عُمَان، ط 1، 1991م.
16- عبد الفتاح حجمري، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، المغرب، 1996م.
17- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، بحث منشور ضمن وقائع ندوة: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987م، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991م.
18- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1993م.
19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط 3، ١٩٩٢م.
20- عبد الله خضر حمد، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، مارس 2018م.

21- عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2017م.

22- عز الدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، بحث منشور ضمن وقائع ندوة اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1992م.

23- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 1998م.

24- كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب: د. المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

25- كامل محمد عويضة، مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

26- كريم حسين ناصح، نظرية نحو الكلام رؤية عربية أصيلة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

27- لويس تايسون، النظريات النقدية المعاصرة، ترجمة: د. أنس عبد الرازق مكتبي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، السعودية 1435هـ.

28- محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، لبنان، ط 1، 2010م.

29- محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي – صفاقس تونس، الطبعة الأولى ديسمبر 1998م.

30- محمد حسين عقاب العنزي، بعض الأبعاد النفسية في أدب المنفلوطي وفقًا لبعض مدارس علم النفس، ماجستير، جامعة أم درمان، كلية التربية، 2012م.

31- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، السيميائيات وقضايا النص الأدبي، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2023م.

32- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1995م.

33- مصطفى العادل، وآخرون، اللسانيات والدرس اللغوي القديم، مركز نماء للبحوث والدراسات، مصر، د. ت.

34- مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، مصر، الطبعة الأولى 1418هـ، 1998م.

35- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2010م.

36- مصطفى لطفي المنفلوطي، مناجاة القمر، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، مصر 2015م.
37- منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1996م.
38- هشام خالدي، آليات صناعة المصطلح اللساني الحديث، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، السنة الثالثة والعشرون، العدد 91، سبتمبر 2015م.
39- وائل يوسف العريني، الآخر في أدب الرحلة، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2023م.
40- وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط 1، 2019م.

الحواشي السفلية

(1) أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص11.
(2) عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ص11.
(3) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص13.
(4) أندريه مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ص24.
(5) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص13.
(6) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، ص18.
(7) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص7.
(8) مصطفى العادل، وآخرون، اللسانيات والدرس اللغوي القديم، ص11.
(9) كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب: د. المنصف عاشور، ص25.
(10)عز الدين البوشيخي، مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه، ص92.
(11) الجاحظ، البيان والتبيين، (135/1).
(12) ابن جني، الخصائص، (247/1 - 248).
(13) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (392/1)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر.
(14) حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربي المعاصرة، ص12.
(15) مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص6.
(16) هشام خالدي، آليات صناعة المصطلح اللساني الحديث، ص26.
(17) عبد الدين حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ص13.
(18) عبد الحليم عيسى، القواعد التحويلية في الجملة العربية، ص5.
(19) لويس تايسون، النظريات النقدية المعاصرة، ترجمة: د. أنس عبد الرازق مكتبي، ص215.

(20) كريم حسين ناصح، نظرية نحو الكلام رؤية عربية أصيلة، ص22.

(21) خالد حوير الشمس، دراسات نقدية في الشعر والنثر، ص127.

(22) روجر فاولر، اللسانيات والرواية، ترجمة د. أحمد صبره، ص77.

(23) وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، ص34.

(24) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص64.

(25) منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، ص76.

(26) عبد الرحمن محمد طعمة، مركزية اللسانيات ضمن نظرية المعرفة وفلسفة العلوم، ص140.

(27) علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، ص21.

(28) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص138.

(29) محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص258.

(30) توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، ص10.

(31) محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص200.

(32) إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص368.

(33) محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ص153.

(34) عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص248.

(35) عبد الفتاح حجمري، عتبات النص البنية والدلالة، ص16.

(36) مصطفى لطفي المنفلوطي، مناجاة القمر، ص47.

(37) المصدر السابق نفسه، ص47 – 48.

(38) محمد سيف الإسلام بوفلاقة، السيميائيات وقضايا النص الأدبي، ص105.

(39) عبد الله خضر حمد، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، ص73.

(40) مصطفى لطفي المنفلوطي، مناجاة القمر، ص47.

(41) المصدر السابق نفسه، ص48.

(42) مصطفى لطفي المنفلوطي، مناجاة القمر، ص47.

(43) محمد حسين عقاب العنزي، بعض الأبعاد النفسية في أدب المنفلوطي وفقًا لبعض مدارس علم النفس، ص68.

(44) لعل أهمية دراسة الحقول المعجمية تكمن في تحديدها لدلالة الكلمات؛ إذ أن معنى الكلمة يتحدد من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى في الحقل المعجمي ذاته؛ ولذلك فإن الكلمة الواحدة لا بد أن تنتمي لحقل دلالي واحد في الغالب، ولا بد أن يعتني محلل الخطاب بالكلمة في سياقها الذي جاءت فيه ". انظر: وائل يوسف العريني، الآخر في أدب الرحلة.

(45) سليمة جبار الغزاوي، وآخرون، الدراسات اللغوية في تراث ابن خالويه، ص256.

(46) كامل محمد محمد عويضة، مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه، ص37.

(47) انظر: مصطفى لطفي المنفلوطي، مناجاة القمر، ص47 – 48.